أحواض سقى الدواب بالقاهرة
فى العصرين المملوكى والعثمانى

دكتورة / آمال العمرى

المقدمــة

تنتشر فى شتى أنحاء المعمورة جمعيات الرفق بالحيوان التى يخيل للبعض أنها من مبتكرات العصر الحديث – عصر التقدم والتكنولوجيا – والواقع أن هذا القول قد يبدو صحيحا ومنطقيا لأول وهلة ، الا أنه بالرجوع الى تراثنا العربى الأسلامى سواء المخطوط أو المطبوع لوجدناه يزخر بأمثلة تثبت أن المسلمين كانوا يعنون بأمر الحيوان فى جميع أحواله ، وقد جاءت عنايتهم هذه نتيجة طبيعية مباشرة لتعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، فأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو الى الشفقة بالحيوان والرفق به ومساعدته فى مطعمه ومشربه فى صحته ومرضه ، بل وأثناء ذبحه كما بين القرآن الكريم ، ومن يفعل ذلك كان له الأجر الجزيل والثواب العظيم ، أما من يفعل غير ذلك فعقابه عند ربه نارا وسعيرا وعذابا أليما . (١)

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا يا رسول الله : « وان لنا فى البهائم أجرا ؟ » قال : فى كل كبد رطبة أجر (٢) » .

وجاء هذا المعنى فى رواية أخرى لمحمد بن أسحاق عن الزهرى بسنده المتصل الى سراقة بن مالك قال : « سألت عن الضالة من الأبل تغشى حياضى قد لطتها لإبلى ، فهل لى من أجر سقيتها ؟ فقال : نعم – فى كل ذات كبد حرى أجر » . (٣)

ويتناول هذا البحث جانبا من جوانب الرفق بالحيوان يتجلى فى بناء العديد من الأحواض (٤) التى ينتفع بها فى سقى الدواب (٥) ، وايقاف الأوقاف الكثيرة عليها كى تستمر فى أداء مهمتها على خير وجه ، مثلها فى ذلك مثل غيرها من المنشآت الأخرى التى أوقفت عليها أوقاف كثيرة .

وعلى الرغم من أن أحواض سقى الدواب التى لا تزال باقية بمدينة القاهرة ترجع الي العصرين المملوكى والعثمانى ، إلا أنه يستدل من المصادر التاريخية على أن بناء مثل هذه الأحواض لم يقتصر على العصرين سالفى الذكر ، فيذكر المقريزى أنه كانت توجد بالقرافة أحواض لشرب الدواب (٦) ، كما كان يوجد في ظهر الجامع الأقمر تجاه الركن (٧) المخلق حوض للدواب جدده الأمير يلبغا السالمى عندما قام بأجراء مرمة شاملة للجامع الأقمر فى رجب ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م(٨).

ومما لا شك فيه أن البحث فى بطون المصادر التاريخية والوثائق المختلفة سوف يكشف عن أمثلة أخرى عديدة ، الا أنها لسوء الحظ قد أندثرت وأصبحت أثرا بعد عين ، كما سيتبين لنا فى سياق البحث .

أولا : أحواض الدواب المملوكية :

شهدت مدينة القاهرة خلال العصر المملوكى – بشقيه البحرى والجركسى أزهى أيامها ، حيث حرص سلاطين وأمراء المماليك على تزيينها بالمنشآت كأحسن ما تكون الزينة ، حتى غدت كعروس فى ليلة عرسها .

وتمثلت هذه المنشآت فى بناء العديد من الوحدات المعمارية المتنوعة الوظائف والمتعددة الغايات، كالمساجد ، والمدارس ، والخانقاوات ، والأسبلة والكتاتيب ، والبيمارستانات ، والحمامات ، وأحواض سقى الدواب – موضوع بحثنا – وغير ذلك من المنشآت المدنية والحربية والتجارية .

واذا كانت أحواض الدواب الباقية من هذا العصر والمسجلة فى عداد الآثار الأسلامية قليلة ، الا أنه يستدل مما ورد فى المصادر التاريخية وحجج الوقف على انها – اى الاحواض – أكثر من ذلك بكثير ، ومن أمثلة ذلك حوض دواب كان يوجد على يسار الواقف أمام مدخل مجموعة قلاوون حيث توجد الآن بائكة من أربعة عقود مدببة (لوحة ١) ، وقد ذكرت الوثيقة أن هذا الحوض كان من الحجر (الصوان الأسود الكبير) (٩) ، الا أن الامير جمال الدين أقوش نائب الكرك قام بنقل هذا الحوض وابطله (لتأذى الناس بنتن رائحة ما يجتمع قدامه من الاوساخ وانشأ سبيل ماء يشرب منه الناس عوضا عن الحوض المذكور) (١٠) .

ومن أمثلة هذه الأحواض المندثرة ايضا حوض كان بجانب خانقاه الجيبغا المظفرى ، وآخر كان بجانب حمام خانقاه طغاى تمر النجمى ، وثالث عمره الامير قراسنقر وقد جعل فوقه مسجدا ، ورابع عمره الامير نظام الدين آدم أخو الأمير سيف الدين سلار (١١) .

وعمر الأمير سيف الدين أسنبغا بن الأمير سيف الدين بكتمر البويكرى الناصرى بجانب مدرسته حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبة للآيتام وذلك فى سنة ٧٧٢ هـ/ ١٣٧٠ م (١٢) .

وعمر الأمير جانى بك نائب جدة حوضا للدواب بجوار تربته خارج باب القرافة ، الا أنه أندثرت معالمه (١٣) .

وأمر السلطان قايتباى ببناء عدة أحواض ورد ذكرها بحجة الوقف الا أنه لم يتبق منها سوى ثلاث أحواض فقط (١٤) .

وقد عمر أمير قرقماس بظاهر الميضأة التى كانت توجد خارج مدرسته التى لا تزال باقية بقرافة صحراء المماليك حوضا للدواب ذكرت حجة الوقف أنه كان « مسقف نقيا على اكتاف مبنية بالحجر الفص النحيت برفرف (١٥) ، اى أنه كان يشبه بعض الاحواض التى لا تزال باقية مثل حوض قايتباى بقرافة صحراء المماليك ، وحوض كل من قجماس الاسحاقى وأزبك اليوسفى (١٦) .

وفيما يلى سرد للأحواض المملوكية الباقية بمدينة القاهرة مرتبة حسب تاريخ أنشائها :

١ – حوض مدرسة أم السلطان شعبان (خوند بركة) بالتبانة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م (شكل ١) (لوحة ٢):

يذكر المقريزى انه يوجد على باب هذه المدرسة « حوض ماء للسبيل (١٧) وينطبق ما ذكره المقريزى على الحوض الكائن بالركن الشرقى من الواجهة الجنوبية الشرقية للمدرسة ، وذلك على يمين الواقف أمام المدخل ، وهو عبارة عن دخلة ذات ثلاث جدران واحد فى الصدر واثنان جانبيان ويتوسط هذه الجدران منطقة غائرة تحتوى على طراز كتابى بالخط الثلث المملوكى البارز يتخلله رنوك كتابية ، ويبدأ هذا الطراز من الضلع الشمالى الشرقى ويستمر فى الضلع الشمالى الغربى وينتهى بالضلع الجنوبى الغربى ، يقرأ منه فى الصدر « الأعظم السلطان

الملك الأشرف شعبان بن المقر ..... الشريف الجمالى سيدى حسين بن السلطان الملك الناصر محمد » .

ويسقف دخلة الحوض سقف خشبى زين بعدد من الاطباق النجمية وأجزائها ، ومن الطبيعى أنه كان يوجد بأرضية هذه الدخلة حوض كبير لا أثر له الآن ، ويعلو الدخلة الكتاب الذى يشرف على الشارع بواجهة تتكون من بائكة ثلاثية العقد ترتكز على عمودين فى الوسط [١٨]. ويلاحظ هنا أن المعمار جعل الكتاب يعلو حوض للدواب وليس سبيل كما هى العادة ، ومن هنا فصل المعمار بين قرينين ، وهما السبيل والكتاب وقد تكررت هذه الظاهرة بعد ذلك فى كل من كتاب مدرسة أسنبغا ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠ م [١٩] ، وكتاب قجماس الأسحاقى ٨٨٥ – ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠ – ١٨٤١م اذ جعل المعمار كلا منهما يعلو حوضا للدواب كما سيتبين لنا فى سياق البحث .

٢ – حوض مدرسة أيتمش البجاسى ٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣ م (لوحة ٣) :

يذكر المقريزى [٢٠] أن الأمير أيتمش البجاسى انشأ مدرسته داخل باب الوزير «وبنى بجانبها فندقا كبيرا يعلوه ربع ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعا » ، وقد أندثرت الربع الذى كان خارج باب الوزير ، ولم يتبق سوى جزء بسيط من حوض الدواب يتمثل فى مساحة مستطيلة لم يتبق منها سوى جدارين متعامدين بكل من الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية ، وهما يحتويان على منطقة غائرة بها بقايا نص كتابى متآكل ، وقد بنى فوق هذين الجدارين منزل حديث .

٣ – الحوض أسفل ساقية مدرسة السلطان حسن :

يوجد بالجهة الشمالية الغربية من مدرسة السلطان حسن اسفل الساقية دخلة معقودة بعقد مدبب بارضيتها حوض يمتد بعرض الدخلة نفسها وبالجهة الجنوبية الغربية من الدخلة ، ماسورة فخارية توصل المياه من حوض الساقية الرئيسى الى حوض الدواب بارضية الدخلة السابقة .

٤ – أحواض السلطان قايتباى الباقية :

سبق القول أن السلطان قايتباى عمر عدة أحواض لم يتبق منها سوى ثلاثة احواض فقط نتناول فيما يلى دراسة كل حوض منها على حدة :

أ – حوض قايتباى بقرافة صحراء المماليك ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م (لوحة ٤ ، ٤ مكرر) يقع هذا الحوض بالجهة الشمالية الشرقية من مدرسة السلطان قايتباى الكائنه بقرافة صحراء المماليك ، وقد وصفته الوثيقة بأنه « حوض سبيل كبير بجواره فسقية بصدر الحوض ثلاث مجارى حجرا يعلوها رنوك مذهبة يعلوها تاريخ سقف الحوض المذكور وهو نقى معرق بالذهب واللازورد معلق على ثلاثة اعمدة حجرا مشهرا يعلوها رفرف مدهون كافوريا ملمع بالذهب واللازورد وأسفل هذا السقف زلاقة حجرا تجاه الحوض المذكور ببالوعة فى تخوم الارض كامل المنافع والمرافق والحقوق » . [٢١]

أما الوصف المعمارى الحالى للحوض فهو عبارة عن مساحة مستطيلة يوجد بصدرها أى بالضلع الجنوبى الغربى منها خمس دخلات توجت ثلاث منها بصفوف من المقرنصات ، وعلى جانبى

كل دخلة منهما عمودان مدمجان ، اما الدخلتان الآخريان فيتوج كل واحدة منهما عقد منكسر شغل داخله بصفوف من المقرنصات تاخذ هيئة العقد المنكسر أيضا ، وأكبر هذه الدخلات الخمسة الدخلة الأولى والثالثة والخامسة ، وأسفل كل واحدة منها حوض صغيرة ولعل هذه الأحواض الصغيرة أسفل كل دخلة هى التى عبرت عنها الوثيقة بأنها « ثلاثة مجارى حجرا » (٢٢) .

ويوجد بالجهة الجنوبية الشرقية دخلة معقودة بعقد منكسر يرتكز على عمودين مدمجين ، ويتوسط الدخلة فتحة معقودة بعقد ثلاثى الفصوص ، أما الجهة الشمالية الغربية فيوجد بها ايضا دخلة تشبة الدخلة المقابلة لها السابق وصفها ، الا ان الفتحة ذات العقد الثلاثى التى تتوسطها مسدودة .

ويسقف الحوض حاليا سقف خشبى من براطيم بحالة سيئة من الحفظ ، يرتكز هذا السقف على دعامة مستطيلة مبنية ، اما قديما فكان يرتكز على ثلاثة اعمدة حجرا مشهرا يعلوها رفرف كما ذكرت الوثيقة . هذا ويجرى أعلى الدخلات السالفة الذكر شريط كتابى بالخط الثلث المملوكى يتخلله رنك كتابى يحوى اسم السلطان قايتباى ولم يتبق من الشريط الكتابى سوى « السلطان الملك الاشرف أبو النصر قايتباى سلطان الاسلام والمسلمين» .

هذا وقد وقف هذا الحوض والفسقية المجاورة « لاستقرار الماء الذى يجرى اليهما من بئر الساقية لينتفع به فى سقى الدواب المارين على ذلك والمترددين اليه وفى غير ذلك من الانتفاعات الشرعية على العادة فى ذلك وجعله سبيلا لله (٢٣) ، وقد خصص الواقف مبلغ ستمائة درهم شهريا نصفها ثلاثمائة درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود وثلاثة أرغفة من الخبز فى كل يوم تصرف لرجل يكون سواقا بالساقية يتولى ادارتها وسوق الماء من بئرها الى حاصل مائه ومنه الى حوض الدواب والفسقية المجاورة له لينتفع بذلك فى سقى دواب المارين والمترددين فى كل يوم من أول النهار الى آخره . (٢٤) .

ب – حوض قايتباى بقلعة الكبش : ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م (شكل ٢)

لم يتبق من هذا الحوض سوى الجدار الشمالى الغربى الذى يحتوى على ثلاث دخلات أوسطها أوسعها ، وهى عبارة عن دخلة قليلة العمق متوجة بثلاثة صفوف من الحنايا المقرنصة المعقودة بعقد منكسر ، بينما يتوج كل دخلة من الدخلتين الجانبيتين عقد منكسر يعلو قمته ميمة .

هذا ويجرى أعلى الدخلات الثلاث منطقة غائرة تحوى نصا كتابيا بخط الثلث المملوكى يتضمن من اليمين « المالك الملك الاشرف أبو النصر قايتباى سلطان الأسلام والمسلمين قامع الكفرة والمتمردين (ربماكهف) الفقراء والمحتاجين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين .... (٢٥) .

جـ – حوض قايتباى بالأزهر : (شكل ٣) (لوحات ٥ – ٧)

يقع هذا الحوض بحى الباطلية بالجهة الجنوبية الغربية من الجامع الأزهر الشريف أمام باب الصعايدة ، ويتكون من مساحة مستطيلة بالضلع الجنوبى الغربى منها خمس دخلات بعضها معقودة بعقود منكسرة ، وبعضها الآخر يتوجه مجموعه من حطات المقرنصات ، وبعضها

ينتهى بهيئة مشطوفة ، وعلى جانبى كل دخلة من هذه الدخلات عمودان مدمجان ، وتنتهى جميع الدخلات من أسفل بهيئة مشطوفة ، ويوجد بالدخلة الأولى (الغربية) رنك كتابى لم يبق منه سوى الشطب والقسم الأسفل والدخلة الثالثة تشبه الدخلة الأولى ولم يبق من رنكها سوى الشطب والقسم الأسفل أيضا .

ويوجد بالركن الغربى دخلة متوجة بعقد مفصص يرتكز على عمودين مدمجين ، وعلى جانبى العقد رنكان باسم السلطان قايتباى ، ويتوسط الدخلة دخلة أخرى تؤدى الى ممر مقبى كان يوصل الى بئر الماء المعين والساقية الخاصة بالحوض ، وتوجد بالركن الجنوبى دخلة أخرى تشبه الدخلة السابقة المقابلة لها الا أنها مسدودة ، هذا ويجرى أعلى الدخلات شريط كتابى بخط الثلث المملوكى البارز يتضمن اسم السلطان قايتباى وألقابه المتعددة .

أما الركن الشرقى فتوجد به دخلة تنتهى بهيئة مسطحة وهى مسدودة حاليا يقابلها مثلها فى الركن الشمالى ولكن يغلق عليها حجاب خشبى .

أما الجانب الشمالى فيوجد به دخلتان تنتهى كل منهما بهيئة مسطحة ، وبينهما دعامة وسطى تنتهى من أعلى بصفين من المقرنصات ، ويغشى واجهة كل دخلة حجاب خشبى .

السـقف :

يسقف الحوض سقف خشبى من براطيم خشبية تحصر بينها مناطق مربعة ومستطيلة ويرتكز هذا السقف على أزار لا توجد به الحنايا الركنية ذات الذيل الهابط ولا الحنايا الوسطية التى تنتهى بنهاية الازار كما هى العادة فى معظم الأسقف من هذا النوع فى أغلب الأحيان .

الواجهات :

يتوج واجهات الحوض الشمالية الشرقية والشمالية الغربية رفرف خشبى مائل الى أسفل ، هذا ويبرز عن الواجهة الشمالية الغربية حجرة صغيرة بجانبها الشمالى الشرقى دخلة معقودة بعقد منكسر ذى زخارف مشعة تنطلق من عقد منكسر مسدود ينتهى بصف من المقرنصات تشكل الهيئة الكلية للعقد ، ويرتكز العقد على عمودين مدمجين ، ويتوسط الدخلة دخلة أخرى معقودة بعقد مفصص شغلت كوشتيه بزخارف الأرابسك ، ويتوسط الدخلة شباك ، هذا ويحدد الهيئة الكلية للدخلة جفت لاعب ذو ميمات مستديرة .

ويوجد بالجانب الشمالى الغربى دخلة أخرى تشبه الدخلة السابقة فى كل شئ وبالناحية الشمالية يوجد عمود مدمج ذو تاج وقاعدة كأسية ويعلو هذه الحجرة حجرة أخرى بكل من جانبيها الشمالى الشرقى والشمالى الغربى دخلة متوجة بصدر مقرنص ، ويتوسط الدخلة شباك يشرف على داخل الحجرة .

هذا وقد كان لهذا الحوض زلاقة حجرا وساقية وبئر ماء معين (٢٦) مثل الحوض الكائن بقرافة صحراء المماليك ، الا أنه لم يبق من كل هذا شئ بالمرة بالنسبة لحوض الأزهر ، وقد أعده الواقف (أى الحوض) للأنتفاع به فى أستقرار الماء الذى ينقل اليه من البئر بحيث يكون مملوء بالماء من

أول النهار الى آخره ، وذلك لشرب دواب المارين على ذلك والمترددين اليه ، وغير ذلك من ساير الأنتفاعات الشرعية إنتفاعا عاما على العادة فى ذلك [٢٧] .

٥ – حوض قجماس الأسحاقى بالدرب الأحمر: ٨٨٥–٨٨٦ هـ/ ١٤٨٠– ١٤٨١ (شكل ٤ –٥) (لوحات٨ –١٠) :

يقع هذا الحوض بالجهة الشمالية الشرقية من مدرسة هذا الأمير التى أنشأها (٨٨٥ – ٨٨٦ هـ / ١٤٨٠ – ١٤٨١ م) ، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة بالجهة الشمالية الشرقية منها ثلاث دخلات أوسطها أوسعها ، والدخلة الوسطى متوجة بثلاثة صفوف من المقرنصات المزخرفة بالزخارف النباتية وبالأشعاعات ، وعلى جانبى هذه الدخلات عمودان مدمجان .

أما الدخلتان الجانبيتان فيتوج كل منهما عقد منكسر يزخرفه أشعاعات تنتهى بصف من العقود المنكسرة أيضا ، ويرتكز هذا العقد على عمودين مدمجين ذوى تيجان وقواعد ناقوسية ، ويتوج قمة العقد ميمة ، وفى كوشتى هذين العقدين زخارف الأرابسك .

وفى الجدار الجنوبى الشرقى لا يوجد سوى دخلة فى الطرف الشرقى يتوجها عقد ثلاثى الفصوص ، زخرفت طاقيته وريشتاه بزخارف الأرابسك أيضا ، ويرتكز هذا العقد على عمودين مدمجين ذوى قاعدة وتاج ناقوسية الشكل ، وفى كوشتى العقد زخارف الأرابسك ، ويتوج العقد ميمة كبيرة .

هذا ويوجد طراز كتابى [٢٨] يبدأ من الجهة الجنوبية ويستمر على الواجهة الشمالية الشرقية بأعلى الدخلات الثلاث .

والسقف من براطيم خشبية تحصر فيما بينها مربعات ومستطيلات كانت مجلدة بالطبع ، ويرتكز السقف على أزار خشبى لا يحتوى على حنايا ركنية ووسطية ، ويوجد طراز كتابى يتوسطه زنك بالأزار الشمالى الشرقى .

أما الجدار الشمالى الغربى فقد جدد ، وكان من الطبيعى أن يحتوى على دخلات تشبه الدخلة الشرقية ، هذا ولا توجد الميازيب أسفل الدخلات بالجهة الشمالية الشرقية .

أما دخلة الحوض فهى عبارة عن دخلة متسعة بالجهة الجنوبية الغربية ، يغشى واجهتها باب خشبى ذو حشوات مربعة ومستطيلة يعلوه حجاب من خشب الخرط فقد معظمه ، ويعلو الحوض الكتاب الذى يشرف على الخارج بواجهة عبارة عن بائكة ثنائية العقد (وهو عبارة عن عقد حدوة الفرس) ترتكز على عمود أوسط ، ويغشى الجزء السفلى من البائكة حجاب من خشب الخرط ، ويعلو واجهة الكتاب رفرف خشبى مائل لأسفل وبجوار دخلة الحوض باب يؤدى الى سلم الصعود للكتاب يجاوره باب آخر يؤدى الى ممر معقود بأقبية متقاطعة بنهايته دورة المياه الحديثة .

٦ – الحوض الملحق بمدرسة أزبك اليوسفى : ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ – ١٤٩٥ م :

يقع هذا الحوض بالركن الشمالى من الواجهة الشمالية الشرقية لهذة المدرسة وقد سدت واجهة هذا الحوض حاليا (وهى بالجانب الشمالى الشرقى) بمداميك حجرية مما جعل هذا الحوض معرضا لألقاء القاذورات وغير ذلك من المخلفات .

ويتكون هذا الحوض من مساحة مستطيلة (أشبه بأيوان) ذات ثلاثة جدران واحد بالصدر وأثنان جانبيان ، وبكل من الركن الجنوبى من الضلع الجنوبى الشرقى والركن الغربى من الضلع الشمالى الغربى دخلة معقودة بعقد منكسر ترتكز على عمودين مدمجين بالجدار ، أما الضلع الجنوبى الغربى فيحتوى على ثلاث دخلات أوسطها أوسعها وهى متوجة بثلاث حطات من المقرنصات المعقودة بعقد منكسر ، وعلى جانبى الدخلة من أسفل عمودان مدمجان بالجدار ، أما الدخلتان الجانبيتلن فيتوج كل منهما عقد منكسر يتوسطه عقد منكسر آخر أصغر منه تنطلق منه أشعاعات تنتهى بصف من العقود المنكسرة الصغيرة تشكل الهيئة الكلية للعقد المنكسر الأكبر ، ويتوج أعلى هذين العقدين الجانبيين ميمة كبيرة .

هذا وتوجد فى أعلى الدخلات السابقة منطقة غائرة تنتهى من جانبيها بهيئة مفصصة ربما كانت تحوى نصا كتابيا زال أثره ، ويلى تلك المنطقة جفت لاعب ذو ميمات مستديرة .

ويوجد على يسار الدخلة التى بالركن الجنوبى من الضلع الجنوبى الشرقى دخلة أخرى معقودة بعقد منكسر ، الا أن جزءها السفلى مطمور حاليا ، أما سقف الحوض فهو سقف خشبى من براطيم تحصر فيما بينها مناطق مستطيلة ومربعة ذات زخارف ملونة تحتاج الى تنظيف لاستجلاء روعتها .

ويحدد جانبى دخلة الحوض من الجهة الشمالية الشرقية حيث الواجهة المسدودة حاليا جفت لاعب ذو ميمات مستديرة .

ويعلو الحوض قاعة سكنية بحالة متهدمة بواجهاتها الشمالية الشرقية مشربية .

ثانيا : أحواض الدواب العثمانية :

لم يكن اهتمام العثمانيين برعاية الحيوان وبناء الأحواض الخاصة بسقيها باقل من أهتمام سلاطين وأمراء المماليك ، ومن ثم أمروا بأنشاء العديد منها فى شتى أنحاء مدينة القاهرة وحواضرها ، الا انه لسوء الحظ لم يتبق منها سوى أمثلة قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة .

١ - الأحواض المندثرة :.

أمدتنا حجج الوقف المختلفة التى ترجع الى هذا العصر بأمثلة عديدة منها ، أوقفت عليها الاوقاف المغلة ، حتى تستمر فى أداء مهمتها على خير وجه ، وفيما يلى نعرض لهذه الأمثلة مرتبة ترتيبا تاريخيا :

أ - حوض أسكندر باشا بخط قنطرة باب الخرق وكان مبنيا بالحجر الملون [٢٩] .

ب - حوض زين الدين عبد المعطى محمد ، أنشأه خارج قنطرة الموسكى [٣٠] .

جـ - حوض على كتخدا قريبا من الزاوية الحمراء لضواحى مصر المحروسة البحرية على الدرب السلطانى ، وكان مبنيا بالحجر الفص النحيت [٣١] .

د - حوض على أغا دار السعادة بخط الصليبة بطولون ، وقد وقفه لله سبحانه وتعالى لسقى الدواب فى الغادى والهادى [٣٢] .

هـ – حوض أحمد أغا بسويقة العزى [٣٣] .

و – حوض مصطفى أغا بن حسين بخط قناطر السباع [٣٤] .

ز – حوض حسن بن حسين بخط الجمالية [٣٥] .

ح – حوض على كتخدا بخط الرميلة [٣٦] .

ط – حوض أسماعيل كتخدا بخط المدابغ القديمة [٣٧] .

ى – حوض على أغا بدرب الجميزة [٣٨] .

ك – حوض أحمد باشا طاهر بجزيرة بدران [٣٩] .

أحواض عبد الرحمن كتخدا المندثرة :

كان الأمير عبد الرحمن كتخدا مغرما بالتشييد والبناء فأمر بأقامة الكثير من أنواع العمائر المتعددة الأغراض .

كما قام بتجديد الجامع الأزهر وأضافة الكثير من الوحدات المعمارية اليه ، ونالت مشاهد أهل البيت بالقاهرة من عنايته الكثير ، فأمر بتجديد معظم هذه المشاهد [٤٠] ، الا أن ما يهمنا هنا هو أنه أمر بأقامة العديد من أحواض سقى الدواب ، ذكر بعضها الجبرتى فى تاريخه ، ومنها حوض يعلوه كتاب بالقرب من تربة الأزبكية (أندثرت معالمه) ، وحوض بالحطابة (لا يزال باقيا) ، وحوض ثالث عند جامع الدشطوطى (أندثرت معالمه) ، وحوض رابع خارج باب القرافة [٤١] ، وأضاف أندريه ريمون حوضا خامسا له بعرب آل يسار [٤٢] .

هذا وقد أضافت لنا وثائق عبد الرحمن كتخدا عدة أحواض أخرى منها حوض كبير على يمنه السالك طالبا مقام الأمام الشافعى بالقرافة الصغرى [٤٣] وحوض بحوش السيدة نفسية [٤٤] ، وحوض بالموسكى تجاه درب الشيخ سلامة [٤٥] ، وحوض خارج باب الفتوح بخط سويقة اللبن [٤٦] ، وحوض بجزيرة أروى [٤٧] ، وحوض بخط قنطرة الأمير حسين [٤٨] ، وحوض بالقرب من شون الحطب ببولاق [٤٩] .

ولسوء الحظ أندثرت معظم هذه الأحواض ، ولم يعد باقيا منها سوى حوض الحطابة . وفيما يلى نتناول وصف هذه الأحواض المندثرة وأوجه الصرف طبقا لما ورد بشأنها فى وثائق وقف الأمير عبد الرحمن كتخدا .

١ – الحوض الكبير على يمنة السالك طالبا لمقام الأمام الشافعى بالقرافة الصغرى :

جاء وصفه بالوثيقة على النحو التالى « وجميع الحوض الكبيرة المجاورة للساقية وما به من التبليطة والمساطب يعلو ذلك قبب معقودة مقالى مركبة على عمود من الحجر الصوان الأزرق ولذلك شهرة فى محله تدل عليه وتغنى عن زيادة وصفه » [٥٠] .

بدلنا هذا الوصف على أن هذا الحوض كان مغطى بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، وهذا النوع من القباب غالبا ما يرد ذكره فى الوثائق المملوكية والعثمانية باسم العقود المقالية .

وقد أوردت لنا الوثيقة أوجة الأنفاق المختلفة على الحوض والساقية وذلك على النحو التالى « يصرف لرجل يكون خادما بالحوض المرقوم ويتقيد بكنسه وتنظيفه بالرش تجاهه فى كل سنة ثلاثمائة نصف وستون نصفا فضية وما يصرف لكل من يتعاطى غفر الساقية والحوض وحفظ ذلك حكم المعتاد من معلومة فى كل سنة ثلاثمائة نصف وستون نصفا فضة من ذلك وما يصرف لرجل يكون شادا بالساقية والحوض ويتقيد بالخدمة والشادية حكم المعتاد ذلك عن معلومة كل سنة ثلاثمائة نصفا وستون نصفا فضة » (٥١) .

٢ – الحوض بحوش السيدة نفيسة :

جاء وصفة بالوثيقة على النحو التالى «وجميع الحوض المعد لسقى الدواب المستجد الانشاء والعمارة الكائن بحوش السيدة نفيسة المذكورة وما به من التبليطة والقبب على عمود من الحجر الصوان الأزرق والبزابيز المعدة لتناول الماء» (٥٢) .

يدلنا هذا الوصف على ان هذا الحوض كان مثل الحوض من حيث تغطيته بقباب ، وقد اوردت لنا الوثيقة اوجه الانفاق على الحوض فذكرت أنه يصرف « لخادم الحوض المتعاطى كنسه وتنظيفه والرش تجاهه وادارة الماء اليه فى كل سنة ثلاثمائة نصف وستون نصفا فضة من ذلك وما هو لكل من يكون خفيرا لحفظ البزابيز التى بالحوض المرقوم فى كل سنة ثلاثمائة نصف وستون نصفا فضة من ذلك » (٥٣) .

٣ – الحوض بالموسكى تجاه درب الشيخ سلامة :

ورد بالوثيقة أوجة الصرف على هذا الحوض فذكرت أنه « يصرف لرجل يكون خادما للحوض يتعاطى كنسه وتنظيفه ومساعدة السواقى المرقومة فى ادارة الماء على ذلك عن معلومة فى كل سنة سبعمائة نصفا وعشرون نصفا فضة» (٥٤).

٤ – الحوض خارج باب الفتوح بخط سويقة اللبن :

تذكر الوثيقة أن هذا الحوض كان بجوار مسجد وضريح الست مايسة السطوحية (٥٥)

٥ – حوض أخر بباب الفتوح :

جاء وصفه بالوثيقة على النحو التالى « حوض كبير معد لسقى الدواب بثلاثة بزابيز من النحاس معدة لنقل الماء للجرار وغيرها للمحتاجين والطالبين من خلق الله أجمعين المشتمل الحوض المذكور بالدلالة المذكورة على واجهة من الحجر الفص النحيت الأحمر بقنطرتين مركب ذلك على عمود من الرخام الأبيض بقاعدة تبليطية وبالوعة مسقف ذلك مدهون حريريا » (٥٦) .

يتضح من هذا الوصف أن هذا الحوض قد استخدم الى جانب سقى الدواب فى نقل الماء بالجرار وغيرها للمحتاجين والطالبين من الناس ، وذلك عن طريق ثلاثة بزابيز من النحاس أعدت لهذا الغرض بواجهة الحوض .

وقد أوردت لنا الوثيقة أوجة الصرف على الحوض فذكرت أنه « يصرف لرجل يكون خادما للحوض يتعاطى تنظيفه وكنسه وأدارة الماء اليه فى كل سنه من معلومة (٥٧) ، ثلاثمائة نصفا وستون فضة من ذلك حسابا عن كل شهر ثلاثون نصفا فضة » .

٦ – الحوض بجزيرة أروى الكائنة بطريق بولاق بالقرب من شون الحطب الصعيدى :

تذكر الوثيقة أنه كان يجاور هذا الحوض مصلى تحتوى على باب يتوصل منه الى الصهريج» (٥٨) .

٧ – الحوض بالقرب من شون الحطب ببولاق :

تذكر الوثيقة أنه كان يجاور هذا الحوض مصلى تحتوى على باب يتوصل منه الى الصهريج ، كما أوردت كذلك أوجه الصرف عليه فذكرت أنه « يصرف لرجل يكون خادما للحوض يتعاطى تنظيف ذلك والرش تجاه ذلك من معلومة فى كل سنة ثلاثمائة نصف وستون نصفا فضة » (٥٩) .

٨ – الحوض بخط قنطرة الأمير حسين :

تذكر الوثيقة أن هذا الحوض كان يشمل على « واجهة شرقية معقودة ببائكة كبيرة من الحجر الفص النحيت الأحمر سفل الحجارة بكتفيها يمنه ويسرة أربعة عمد قواعد من الحجر الفص النحيت الأحمر سفل الحجارة أيضا حاملين للبائكة المرقومة يعلوها مكتب يدخل من البائكة المذكورة الى تبليطة مفروش أرضها بالحجر بها بالوعة تحت تخوم الأرض بصدرها الحوض المذكور مستطيل به يمنة ويسره سلمان كل سلم منهما ثلاثة درج وبسطه من الحجر الفص النحيت يتوصل من كل منهما الى فسحة مقعودة عقد كمر بالحجر الفص النحيت بصدرها أربع(Sic) بزابير من النحاس الأحمر معدين لملء الجرار والقرب للطالبين من خلق الله أجمعين سفل أحدهم حوض صغير بمصبة من النحاس الأحمر معدة لتصريف الماء الى الحوض المذكور ، بالفسحة المذكورة تجاة البزابير حاجز من الحجر الفص النحيت بأربع رمامين بينهم شبابيك من الحجر سفل الحجارة ، سقف الحوض المذكور خشبا نقيا مدهون حريريا مسبل جدره من الجهات الثلاث من الحجر الفص النحيت الأحمر من السفل الى العلو ، بواجهة الحوض المذكور فى العلو شباك شغل الخراط سفله أربعة ألواح من الرخام مكتتب بهم تاريخ محلى مذهب» (٦٠) .

أما بالنسبة لأوجه الصرف على هذا الحوض فقد ذكرت الوثيقة أنه « يصرف لرجل يتعاطى خدمة الحوض وكنسه وتنظيفة وادارة الماء اليه فى كل سنة عن معلومة ثلثمائة نصف وستون نصفا» (٦١) .

٩ – الحوض بعرب آل يسار :

جاء وصفه بالوثيقة على النحو التالى « وجميع الحوض الكبيرة المجاورة للساقية وما به من التبليطة والمساطب والبزابيز التى من النحاس الأصفر المعدة لتناول المياه يعلو الحوض المرقوم قبب معقودة مقالى مركبة على عمود من الحجر الصوان الأزرق » (٦٢) .

وقد ورد بالوثيقة أيضا أوجه الأنفاق على الحوض والساقية فذكرت أنه « يصرف لرجل يكون خادما بحوض عرب آل يسار ويتقيد بكنسه وتنظيفه والرش تجاهه عن معلومة فى كل سنة ثلثمائة نصف وستون نصفا فضة ، وما يصرف لكل من يتعاطى غفر الساقية والحوض عن معلومة فى كل سنة ثلثمائة نصف وستون نصفا فضة ، وما يصرف لرجل يكون شادا بالساقية والحوض يتقيد

بالخدمة والشادية حكم المعتاد فى ذلك عن معلومة فى كل سنة ثلثمائة نصف وستون نصفا فضة» (٦٣) .

١٠ – الحوض بالقرب من تربة الأزبكية :

أندثرت معالم هذا الحوض كما سبق القول ، ولم يرد أى وصف له بالوثيقة ، الا أنه لحسن الحظ توجد له لوحة عظيمة اوردها لنا أندرية ريمون فى بحثه عن منشآت الأمير عبد الرحمن كتخدا بالقاهرة (٦٤) ، ويتضح منها أنه كان حوضا عظيم الهيئة فخم البنيان ، يتكون من دخلة متسعة تحتوى على عقدين مدببين متتاليين يرتكز كل عقد منهما على عمودين ، ويوجد بصدر الدخلة ثلاث دخلات معقودة بتقدمها سياج رخامى (درابزين) شغلت اضلاعه بقوائم مستطيلة تنتهى ببابات ولم يقتصر الامر على ذلك بل باعلى الحوض كتاب يتوجه رفرف خشبى منحدر لاسفل شغل باطنه بزخارف غاية فى الحسن والبهاء أما سقف الكتاب فكان عبارة عن سقف خشبى ذى براطيم مجلدة بشتى الزخارف كما هى العادة فى مثل هذا النوع من الأسقف سواء فى العصر المملوكى أو العصر العثمانى .

يتضح مما تقدم أن أحواض الأمير عبد الرحمن كتخدا المندثرة قد تعددت أنماطها وتنوعت وظائفها ، فبعضها كان مغطى بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، وبعضها الآخر كان مغطى بأسقف خشبية وهذا النوع الأخير تميز بوجود كتاب بأعلاه ، أما من الناحية الوظيفية فنجد أن بعض هذه الأحواض أستخدمت الى جانب وظيفتها الأساسية المتمثلة فى سقى الدواب – فى أمداد المحتاجين والطالبين من الناس بالمياه عن طريق البزابيز النحاسية الموجودة بالواجهة .

(٢) الأحواض الباقية :

أ – حوض ابراهيم أغا مستحفظان بباب الوزير
(١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م) (شكل ٦ – ٧) (لوحة ١١) :

يقع هذا الحوض فى الركن الغربى من قصر ألين آق ويستفاد من حجة وقف ابراهيم أغا مستحفظان أنه كان من جملة أوقاف خايربك (٦٥) صاحب المدرسة المجاورة أيضا للقصر ، وقد قام بتجديده إبراهيم أغا ، يؤكد ذلك اللوحة التأسيسية التى ورد بها « جدد هذا الحوض المبارك من فضل الله تعالى وعونه الأمير ابراهيم أغا مستحفظان حالا بمصر سنة سبعين وألف » (٦٦) ويتكون هذا الحوض من دخلة متسعة تشرف على الشارع من خلال عقد مدبب يحدده أطار بارز ينتهى بميمة أعلى قمة العقد ، وقد هدم الجدار الجنوبى الشرقى من الدخلة ولم يتبق سوى الجدارين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى ، وبكل جدار منهما دخلة تنتهى بهيئة مسطحة .

ب – حوض عبد الرحمن كتخدا بالحطابة : (لوحة ١٢)

لم يتبق من أحواض هذا الأمير المتعددة السالف ذكرها سوى هذا الحوض وقد جاء وصفه بالوثيقة على النحو التالى :

«وجميع الحوض المعد لسقى الدواب المستجد الأنشاء والعمارة المجاورة للصهريج المرقوم وما به من الواجهة والبزابيز النحاس والقناطر والتبليطة والقبب المحمول ذلك على عمودين وما به أيضا من المنافع والحقوق » (٦٧) .

وفيما يلى الوصف المعمارى الحالى للحوض ومقارنته بما ورد بالوثيقة اذ أنه لم يبق من هذا الحوض بحالة جيدة سوى الواجهة ، وهى عبارة عن بائكة ثنائية العقد (وهو عبارة عن عقد مدبب) ترتكز على عمود أوسط من الجرانيت ، ويحدد العقدين جفت لاعب ذو ميمات سداسية ، وعلى جانبى العقدين دخلتان معقودتان يحدد كل منهما جفت لاعب ذو ميمات سداسية ينتهى من أعلى بدائرة مكونة من أربع ميمات ، وبأعلىٰ الدخلتين مجموعة من الجفوت ذات الميمات تتداخل مع بعضها مكونة هيئة أطارين السفلى منهما مستطيل والعلوى مربع تتوسطه دائرة تحدد هيئة قصعة دائرية بوسطها نتوء بارز على هيئة النهر ، وأمام هذه البائكة توجد بائكة أخرى من عقدين أيضا بأركانها مثلثات كروية مما يدل على أن هذا الحوض كان مغطى بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، يؤكد ذلك أيضا ما ،ورد بالوثيقة من أن هذا الحوض كان مغطى بقباب .

أما بالنسبة لأوجة الأنفاق على هذا الحوض فقد ذكرت الوثيقة أنه « يصرف لمن يكون خادما للحوض يتعاطى كنسه وتنظيفه وادارة الماء اليه ورشه تجاه ذلك عن معلومة سويا فى كل سنة أربعة آلاف نصف وثلثمائة نصف وعشرون نصفا فضة » (٦٨).

جـ - حوض محمد بك أبو الدهب : (١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤م) : (شكل ٩،٨) (لوحة ١٣ -١٤):

يقع هذا الحوض فى الركن الغربى من الواجهة الجنوبية الغربية لمجموعة الأمير محمد بك أبو الدهب ، وقد وصفته الوثيقة بأنه : « حوض دواب كبير مسقف نقيا محمول سقفه على عمود كبير بقاعدتين من الرخام الأبيض به قنطرتين معقودتين (Sic) بالحجر ، مبنى جهات الحوض المذكورة منقوش مقرنص ، وخونقات بجوانبه عمدان صغار برمة من الحجر » (٦٩) .

ولتوضيح هذا الوصف نذكر أن هذا الحوض يبرز عن جدار الواجهة الجنوبية الغربية ، وهو عبارة عن دخلة مستطيلة تشرف على الشارع من الجهة الجنوبية الغربية بواجهة عبارة عن بائكة ثنائية من عقدين مدببين يرتكزان على عمود أوسط مستدير من الرخام ، ويحدد صنج كل عقد وكوشتيه أطار حجرى بارز ينتهى بميمة أعلى قمة كل عقد ، وايضا عند رجلى كل عقد ، ويغشى أسفل هذه الواجهة حجاب من خشب الخرط يحتوى فى الطرف الجنوبى منه على باب من خشب الخرط أيضا يؤدى الى داخل الحوض .

ويحتوى الجدار الشمالى الغربى فى الركن الشمالى منه على دخلة تشبه الدخلة السابقة فى كل شئ ، الا أنه يوجد على يسار هذه الدخلة شباك مستطيل ذو مصبعات من ارماح ومخرزات من الخشب .

أما الجدار الشمالى الشرقى فيتوسطه دخلة بنهايتها باب يغلق عليه مصراعان من الخشب ، ويتوج الدخلة صفان من المقرنصات المنكسرة العقد أسفلها ذيل هابط ، وترتكز هذه المقرنصات على عمودين مخلقين بالجدار .

وعلى جانبى هذه الدخلة توجد ٤ دخلات بواقع دخلتين لكل جانب ، وكل دخلتين منهما متشابهتان ، فالدخلتان الأوليتان يتوج (Sic) كل منهما عقد مدائنى يرتكز على عمودين مخلقين بالجدار ، أما الدخلتان الثانيتان فيتوج كل منهما صفوف من المقرنصات المنكسرة العقد ترتكز على

عمودين مخلقين بالجدار ويحدد هذه الدخلات الخمس (سواء المعقودة أو المتوجة بالمقرنصات) أطار حجرى بارز .

ويسقف الحوض سقف خشبى من براطيم خالية من الزخارف هذا ويتقدم الدخلة الوسطى التى تحتوى على باب سلم من درجتين ينتهيان ببسطة مربعة تتقدم الباب ، ويغشى جوانب السلم والبسطة درابزين من الخشب يحتوى على ٤ قوائم تنتهى ببابات خشبية ، هذا ويعلو الواجهة الجنوبية الغربية من الحوض ٤ نوافذ بواقع نافذتين بأعلى كل عقد يعلو بعضها البعض ، وكذلك يعلو جدار الواجهة الجنوبية الشرقية نافذتان أيضا تعلو أحداهما الأخرى .

أما بالنسبة لأوجة الصرف على هذا الحوض ، فقد ذكرت الوثيقة أنه يصرف «لرجل قادر يكون خادما بحوض الدواب المذكور يتعاطى كنسة وتنظيفه ورش المياه حوله المسجد المذكور من غير خلال فى كل يوم عشرة أنصاف فضة » (٧٠) .

ثالثا : الدراسة التحليلة :

أ – التخطيط :

يتضح مما تقدم أن التكوين المعمارى لأحواض سقى الدواب الباقية من العصرين المملوكى والعثمانى لم يخرج عن مجرد دخلة (أشبه بأيوان) عبارة عن مساحة مستطيلة ذات ثلاثة جدران ، واحد بالصدر وأثنان جانبيان ، أما الجدار الرابع فيشرف على الشارع ، إما بهيئة مسطحة كما هو الحال فى أحواض كل من أم السلطان شعبان وقايتباى بالصحراء وبالأزهر ، وقجماس الأسحاقى ، وأزبك اليوسفى وإما يشرف على الشارع من خلال عقد واحد كما هو الحال فى حوض ابراهيم أغا مستحفظان ، أو من بائكة ثنائية العقد كما هو الحال فى حوض عبد الرحمن كتخدا بالحطابة ، وحوض محمد بك أبو الدهب وتحتوى غالبية هذه الأحواض على دخلات يختلف عددها من حوض لآخر وتتوج أما بعقود منكسرة ذات صنجات مسلوبة ، أو عقود منكسرة ذات زخارف مشعة تنتهى بصف من العقود المنكسرة الصغيرة تشكل فى النهاية الهيئة الكلية للعقد المنكسر الأكبر ، وأما تتوج هذه الدخلات بحطات من المقرنصات ، وأحيانا تكون ذات هيئة مسطحة . وكان يوجد أسفل هذه الدخلات أحواض صغيرة هى التى خصصت لسقى الدواب وقد عبرت عنها الوثائق بأنها مجارى حجرا ، الا أنه لسوء الحظ أندثرت معظم هذه الأحواض الصغيرة .

مما سبق نرى شيوع هذا التخطيط وأنتشاره خلال العصرين موضوع الدراسة ، ومن ثم فلا صحة لما ذكره بعض الباحثين من أنه يوجد نوع آخر من أحواض الدواب أطلقوا عليه اسم حوض دواب بسيط (٧١) ، وذكروا أنه يوجد عادة بجوار شبابيك الأسبلة ، والواقع أن الدخلات الصغيرة المعقودة التى توجد بجوار شبابيك الأسبلة وتحتوى على أحواض صغيرة بداخلها ليست أحواض للدواب كما ذكر هؤلاء الباحثين ، وأنما هى مجرد فتحات لتزويد الصهريج أسفل حجرة التسبيل بالماء بواسطة القرب أو الروايا ، وقد أطلقت عليها الوثائق عدة مسميات منها مصب معد لنزول الماء للصهريج ، أو مصب معد لتزويد الماء العذب الى بيارة الصهريج أو مغير للصهريج .

ومما لا شك فيه أن وجود هذه الدخلة يسهل تفريغ القرب والروايا الخاصة بالماء دون أقصى مجهود فى العبور الى داخل السبيل وعقب الأنتهاء من تزويد الصهريج بالماء كانت تغلق هذه الفتحة بأحكام منعا من تسرب الأتربة والقاذورات ، ومن ناحية أخرى ليس من المعقول أن تشرب الدواب من المياه العذبة الخاصة لشرب المارة من السبيل ، والتى كان يحرص الواقفون على توافرها بأنتظام فى الصهريج الكائن أسفل حجرة السبيل ، نظرا لما كانوا يلاقونه من مشقة فى سبيل الحصول على هذه المياه العذبة (٧٢) .

ب – الأسقف :

يسقف هذه الأحواض أما أسقف خشبية من براطيم ، وفي هذه الحالة كان يعلو معظم الأحواض من هذا النوع كتاتيب كما هو الحال فى أم السلطان شعبان وأسنبغا ، وقجماس الأسحاقى ، وحوض عبد الرحمن كتخدا المندثر الذى كان بالأزبكية ، وإما يعلوها قاعات سكنية كما هو الحال فى أزبك اليوسفى ، ومحمد بك أبو الدهب وأحيانا تترك كما هى لا يعلوها أى بناء مثل حوض قايتباى بالصحراء وبالأزهر .

وهناك نوع آخر من الأحواض غطيت بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ومن أمثلتها الباقية حوض عبد الرحمن كتخدا بالحطابة ، وفى هذه الحالة لا توجد كتاتيب بأعلى هذه الأحواض.

جـ – تزويد الأحواض بالماء :

كانت هذه الأحواض تزود بالماء عن طريق أقصاب مغيبة تنقل الماء من الساقية الى هذه الأحواض ، وقد نصت معظم الوثائق على ذلك ، ومن أمثلة السواقى الباقية ساقية منشأة السلطان قايتباى بقرافة صحراء المماليك التى توجد بالضلع الجنوبى الغربى من الحوض .

هذا ولا تزال توجد بحوش أيوب بك بالسيدة زينب ساقية كانت تمد منطقة الكبش بالمياه من بركه قارون التى أطلق عليها بركة قراجا ثم عرفت بعد ذلك ببركة الحمصانى (٧٣) .

* * *

الهوامش

(١) أحمد مصطفى المراغى : الأسلام والرفق بالحيوان (مجلة الموظف ، جـ ٥ ، مايو ١٩٣٨ ، السنة السادسة – المجلد السادس) ص ٣٩٥ .

(٢) البخارى : (أبى عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة) ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م .
صحيح البخارى : الجزء الخامس

(٣) أحمد مصطفى المراغى : المرجع السابق ص ٣٨٩

(٤) حاض الماء وغيره حوضا وحوضه حاطه وجمعه وحضت أحوض أتخذت حوضا وأستحوض الماء أجتمع ، والحوض مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض والتحويض عمل الحوض والأحتياطى أتخاذه وأستحوض الماء أتخذ لنفسه حوضا .
أبن سيدة : المخصص السفر العاشر جـ ٣ تحقيق لجنة أحياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة بيروت ص ٤٩ .
أبن منظور : لسان العرب – طبعة مصورة عن طبعة بولاق سلمة تراثنا جـ ٨ ص ٤١٠ – ٤١١
الفيروز آبادى : القاموس المحيط جـ ٢ ط ٣ بولاق ١٣٠١ هـ ص ٣٢٦ .
الرازى : مختار الصحاح ، عنى بترتيبه محمود خاطر القاهرة ١٩٧٦ ص ١٦٢ .

(٥) مفردها دابة ، وهى مادب من الحيوان وغلب على ما يركب ويقع على المذكر ودابة الأرض من أشراط الساعة .
الفيروز آبادى : المصدر السابق جـ ١ ص ٦٤ .

(٦) المقريزى : الخطط جـ ١ : ص ٤٨٦ جـ ٢ : ص ٤٥٣ .

(٧) الركن المخلق كان موضعه فى زمن المقريزى تجاه الجامع الأقمر على يمنة من أراد الدخول الى المسجد المعروف فى زمن المقريزى أيضا بمعبد موسى وقيل له الركن المخلق لأنه ظهر فى سنة ٦٦٠ هـ فى هذا الموضوع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام ، وخلق بالزعفران وسمى من ذلك اليوم بالركن المخلق .
المقريزى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠٥ .

(٨) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٩٠

(٩) محمد سيف النصر أبو الفتوح : مدرسة السلطان المنصور قلاوون بالنحاسين بالقاهرة دراسة أثرية فى ضوء وثيقة جديدة (مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاد ١٩٨٤) ص ١١٦ سطر ١٠٦ .

(١٠) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٠٧
ومما هو جدير بالذكر ان هذا السبيل لا يزال باقيا الى اليوم ويعد أقدم الأمثلة الباقية للأسبلة فى العمارة الإسلامية فى مصر حتى الآن .

(١١) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٦٤

(١٢) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٩٠ – ٣٩١
ومما هو جدير بالذكر أنه لايزال يوجد بجوار سبيل هذه المدرسة الموجودة بالركن الغربى منها فيما بينه وبين المدخل المؤدى الى المدرسة حجرة عبارة عن مساحة مستطيلة مغطاة بسقف خشبى ولا تحتوى حاليا على أى

نوع من الدخلات أو الفتحات ، ومستغلة كمحل لبيع الخشب ، ويعلو هذه الحجرة كتاب يشرف على الشارع بواجهة من بائكة ثنائية ذات عقدين حدوة فرس يرتكزان على ثلاثة أعمدة من الرخام .
وفى ضوء ذلك يمكن القول أن هذه الحجرة كانت تمثل حوض الدواب والكتاب الذى يعلوه ، أى أنه كان يشبه الى حد كبير حوض دواب وكتاب مدرسة أم السلطان شعبان ، هذا وقد حدث التباس بين علماء لجنة حفظ الآثار فاعتبروا السبيل هو حوض الدواب ، بينما أعتبروا الحجرة المجاورة له (التى كانت تمثل الحوض كما سبق القول) مجرد حنفية ، وقد ثبت الآن عكس ما ذهب اليه علماء لجنة حفظ الآثار ، فماأعتبروه حوضا ما هو الا سبيل يغشى واجهته حجاب من خشب الخرط ، وما أعتبروه حنفية ما هى الا حوض دواب كتاب كما سبق ان بينا .

(١٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ ٣ ص ٥٨ .

(١٤) من هذه الأحواض التى ورد ذكرها بالوثيقة الحوض بمقطع الحجارين بسفح الجبل المقطم ، والحوض بقرافة صحراء المماليك ، والحوض بالأزهر . حجة وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ٣٦ ، ٤٠ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٤ – ٢٤٥ .
ومما هو جدير بالذكر أنه لم يتبق من هذه الأحواض التى ورد ذكرها بالوثيقة سوى حوض صحراء المماليك وحوض الأزهر ، بالأضافة الى حوض ثالث بقلعة الكبش لم يرد له ذكر بالوثيقة .

(١٥) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير الكبير قرقماس وملحقاتها (رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٧٥) الملحق الوثائقى ص ٣١ .

(١٦) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس – الجزء الأول ص ٦٠٢ – ٦٠٣ حاشية ٥ .

(١٧) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٠٠

(١٨) ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة (أم السلطان شعبان) (رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧٧) ص ٧٨ .

(١٩) سبق أن تحدثنا عن حوض وكتاب هذه المدرسة هامش رقم ١٢ .

(٢٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٢ : ص ٤٠٠ .

(٢١) حجة وقف السلطان قايتباى ، ٨٨٦ أوقاف ، ص ٣٦ سطر ٨ – ١٣ .

(٢٢) حجة وقف السلطان قايتباى ، ٨٨٦ أوقاف ، ص ٣٦ ، سطر ٩ .

(٢٣) حجة وقف السلطان قايتباى ، ٨٨٦ أوقاف ، ص ١١٧ ، سطر ٢ – ٥ .

(٢٤) حجة وقف السلطان قايتباى ، ٨٨٦ أوقاف ، ص ١٤٠ ، سطر ١ – ٧ .

(٢٥) عن تحليل هذه الألقاب ومدلولها فى مصطلح ديوان الأنشاء خلال العصر المملوكى أنظر : ما كتبه أستاذنا الدكتور / حسن الباشا فى كتابه الألقاب الأسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار – القاهرة ١٩٥٩ .

(٢٦) حجة وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ٢٠٠ سطر ١١ ، ص ٢٠١ سطر ٢ .

(٢٧) حجة وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ٢٣٥ سطر ١٠ – ١٣ .

(٢٨) يتضمن هذا الطراز النص التأسيسى لهذا الحوض وبعض ألقاب ووظائف الأمير قجماس الأسحاقى ، ويتوسط هذا الطراز رنك الأمير قجماس الأسحاقى وهو يضم بقجة وكأسا داخلها محبرة ، وبجوارها قرنا بارود .
أنظر : سوسن سليمان : منشأة الأمير قجماس الأسحاقى فى (رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة القاهرة ١٩٨٤) ص ٦٣ ، ١٦٣ أشكال ١١٨ ، ١٢١ .

(٢٩) حجة وقف أسكندر باشا رقم ٩١٩ أوقاف محكمة مصر ١٥ جمادى الأول ٩٦٥ هـ .

(٣٠) حجة وقف زين الدين عبد المعطى محمد رقم ٢٨٥ مؤرخة ٢٢ جمادى الآخر ١٠١٩ صادرة من الباب العالى .

(٣١) حجة وقف على كتخدا رقم ٢٤٧ مؤرخة ١٣ ذى الحجة ١٠٣٨ هـ صادرة من محكمة الباب العالى .

(٣٢) حجة وقف على أغا دار السعادة رقم ١٢٩ مؤرخة غرة الأول ١٠٩٠ هـ صادرة من الباب العالى .

(٣٣) حجة وقف أحمد أغا رقم ٩٣٧ مؤرخة ١٠ شوال ١٠٩٢ صادرة من الجامع القوصرنى .

(٣٤) حجة وقف مصطفى أغا بن حسين رقم ٩٧٤ مؤرخة ٨ ذى الحجة ١١٠١ هـ صادرة من الباب العالى .

(٣٥) حجة وقف حسن بن حسين رقم ٢٧٦ مؤرخة ١٢ ذى الحجة ١١٥٨ هـ صادرة من الباب العالى .

(٣٦) حجة وقف على كتخدا رقم ٢٤٠٤ مؤرخة غرة ١١٧٨ هـ صادرة من محكمة مصر .

(٣٧) حجة وقف أسماعيل كتخدا رقم ٩٢٩ مؤرخة ٢٥ ربيع الآخر ١١٧٩ هـ صادرة من الباب العالى.

(٣٨) حجة وقف على أغا رقم ٤١٤ مؤرخة غرة ذى الحجة ١٢١١ هـ صادرة من الباب العالى.

(٣٩) حجة وقف أحمد باشا طاهر رقم ٩١٦ مؤرخة ٢١ ذى الحجة ١٢٤٩ هـ.

(٤٠) عن هذه الأعمال أنظر : الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار – المجلد الأول دار الفارس – بيروت ص ٤٩١ – ٤٩٤ .

(٤١) الجبرتى : المصدر السابق ص ٤٩١ .

(٤٢) Andre Raymond : Les Constructions de L' Emir 'Abd Al-Rahman Kathuda Au CAIBE, (Annales Islamologiques)
Tome XI, Institut Français D' Archéologie Orientale Du Caire, I 972, p. 25I.

(٤٣) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف .

(٤٤) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف .

(٤٥) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤١ أوقاف .

(٤٦) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف .

(٤٧) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤١ أوقاف .

(٤٨) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٢ أوقاف .

(٤٩) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف .

(٥٠) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ٢٥٦ .

(٥١) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ٧٢٥ ، ٧٣٠ .

(٥٢) حجة وقف عبد الرحمن كتخدارقم ٩٤٠ أوقاف سطر١٩٥٢ .

(٥٣) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ١٩٨٤ .

(٥٤) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ١٩٨٦ .

(٥٥) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ٩٦٢ .
ومن المعروف أن الأمير عبد الرحمن كتخدا قد بنى تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهريج وكتاب ومدفن السيدة السطوحية .
الجبرتى : المصدر السابق ص ٤٩١ .

(٥٦) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ٢٤٥ .

(٥٧) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ٦٤٠ .

(٥٨) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤١ أوقاف سطر ٩٣١ .

(٥٩) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف سطر ٨٨٦ ، ١٣٢٢ .

(٦٠) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٢ أوقاف سطر ٣٠٣ .

(٦١) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٢ أوقاف ص ٨١٩ .

(٦٢) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف ص ٢٤٩ .

(٦٣) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف ص ٧١٧ ، ٧٢١ .

(٦٤) André Raymond : Les Construction de L' Émir 'Abd Al - Rahman Kathuda Au Caire, PL. XI .

(٦٥) حجة وقف ابراهيم أغا مستحفظان ٩٥٢ أوقاف ص ١١٧ .

(٦٦) BERCHEM (M. V.) :
Carpus Inscriptionum Arabicarum, Vol , III , p. 610

(٦٧) حجة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ أوقاف ص ١٠٠٠

(٦٨) الحجة السابقة رقم ٩٤٠ أوقاف ص ١٥٥١ .

(٦٩) حجة وقف محمد بك أبو الذهب رقم ٩٠١ أوقاف ص ٣١ .

(٧٠) حجة وقف محمد بك أبو الذهب رقم ٩٠١ أوقاف ص ٨٦ .

(٧١) محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .
حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة (رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة ١٩٧٥) ص ١٤٨ .

(٧٢) محمود الحسينى : الأسبلة العثمانية الباقية بمدينة القاهرة (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٨٢) ص ٤١ - ٤٣ ، ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٧٣) المقريزى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦١ .
حجة وقف السلطان الغورى رقم ٤٥٢ جديد أوقاف الى جانب الوثيقة الجامعة لهذا السلطان .

المصادر والمراجع

إبراهيم جمعة :

دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الأحجار فى مصر فى القرون الخمسة الأولى للهجرة ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٦٩م .

محمد عبد العزيز مرزوق :

الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٤م.

هزتز باشا :

الدليل الموجز لدار الآثار العربية ، المطبعة الأميرية ١٣٢٧ هـ .

Hawary , (H.) : The Most Ancient Islamic Manument Known, (J.R. A. S.), 1930 - 1932.

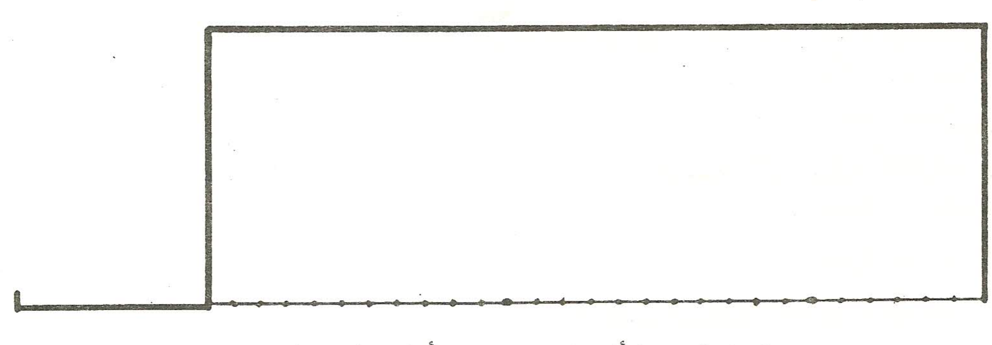
Stéles Funéraies, c cat. Gén. du Musée Arab du Caire). 1932 - 1942

Strzygauwski, (J.) Ornamente Aftarabischer Grabsteine in Kairo, Der Islem, strassburg, 1911 Berchem, (M. V.) :

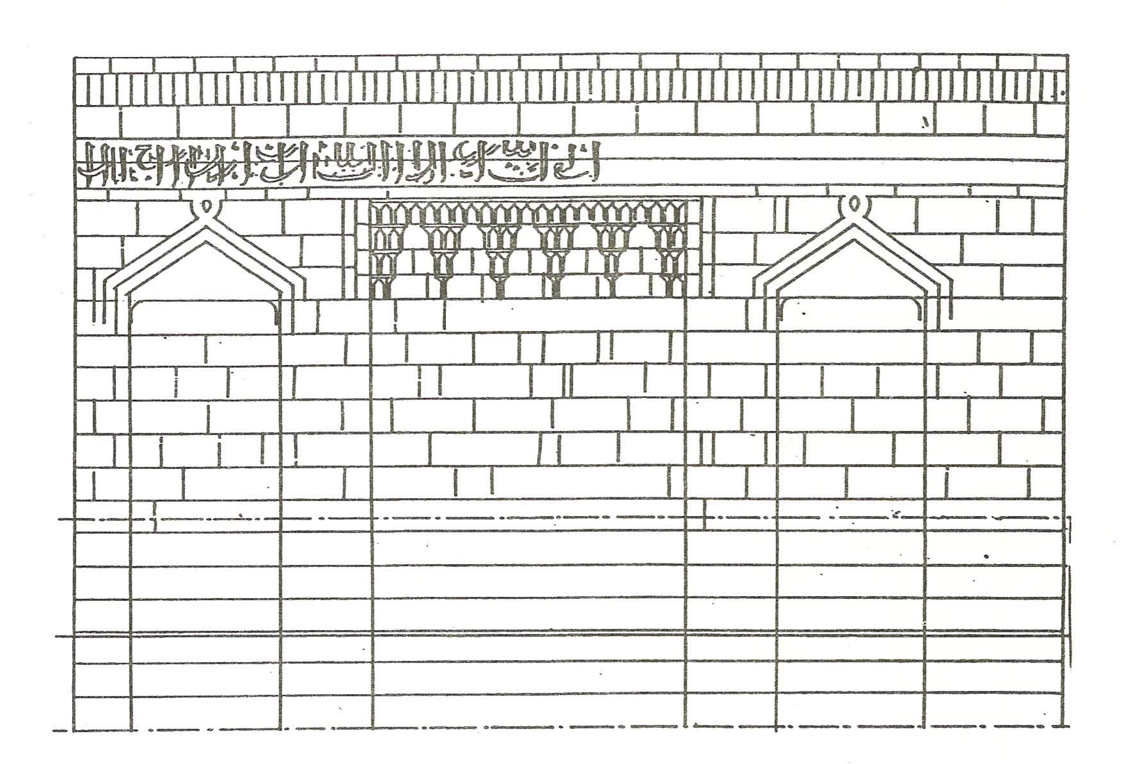
Materiaux pour un corpus in scriptionum arabicarum, Egypt, I, 1903.

Raymond, (A.) :

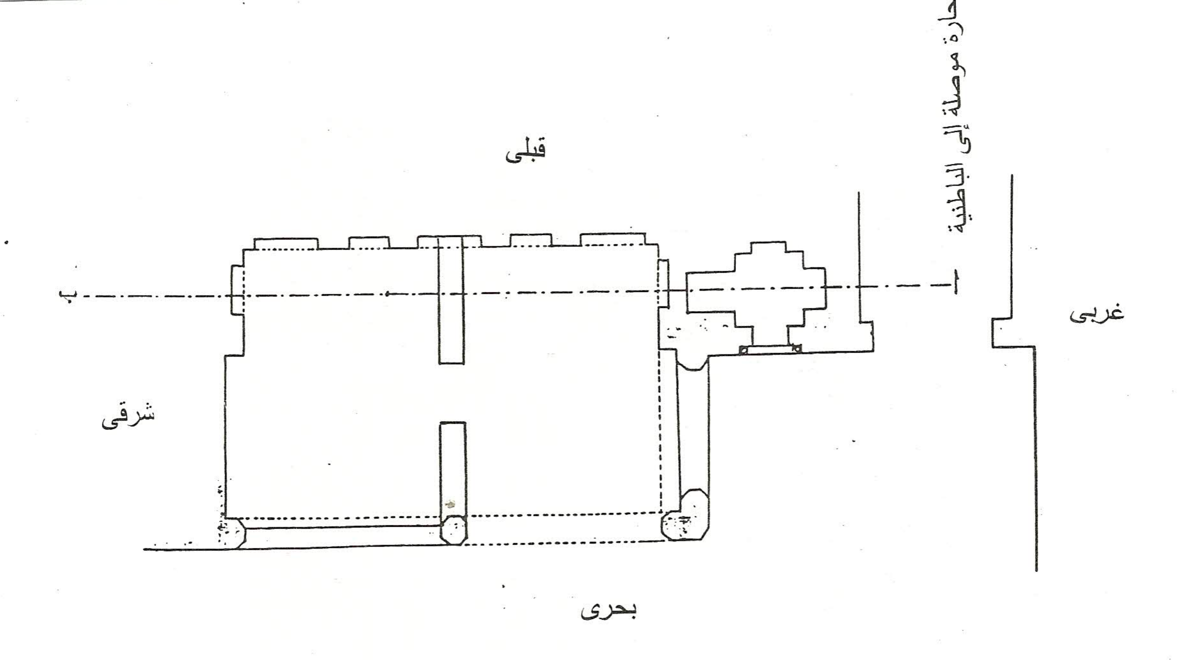
Les constructions de L' Amir 'Abd Al - Rahman Kathuda au caire (Anales Islamologi ques) . Tomexi, Institut Français d' Archéologie orientale du caire, 1972.



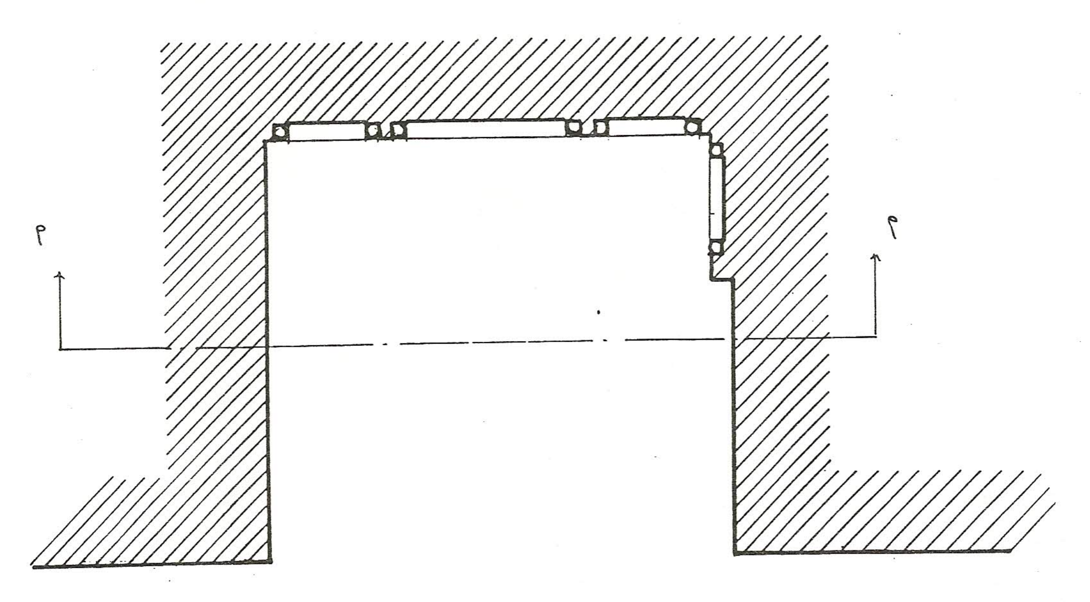
(شكل١) مسقط أفقى لحوض مدرسة أم السلطان شعبان



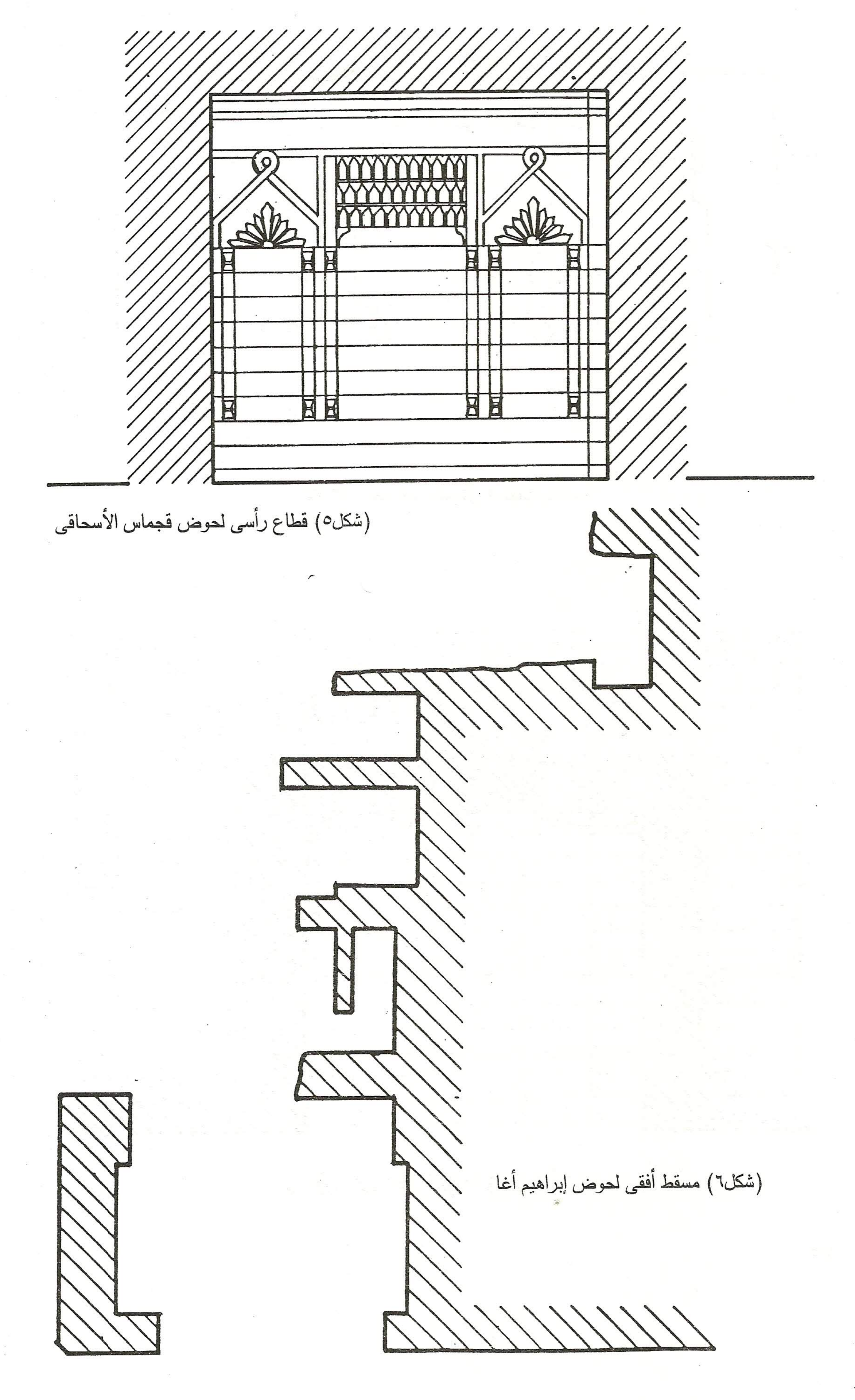
(شكل٢) واجهة حوض قايتباى بقلعة الكبش



(شكل٣) مسقط أفقى لحوض قايتباى بالأزهر

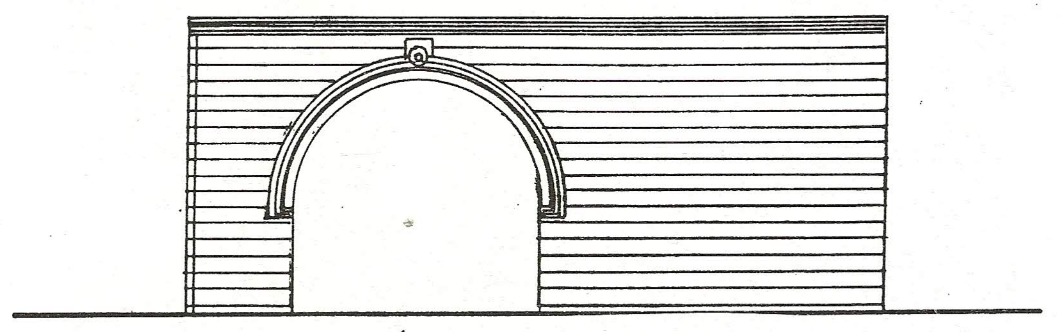


(شكل٤) مسقط أفقى لحوض قجماس الأسحاقى

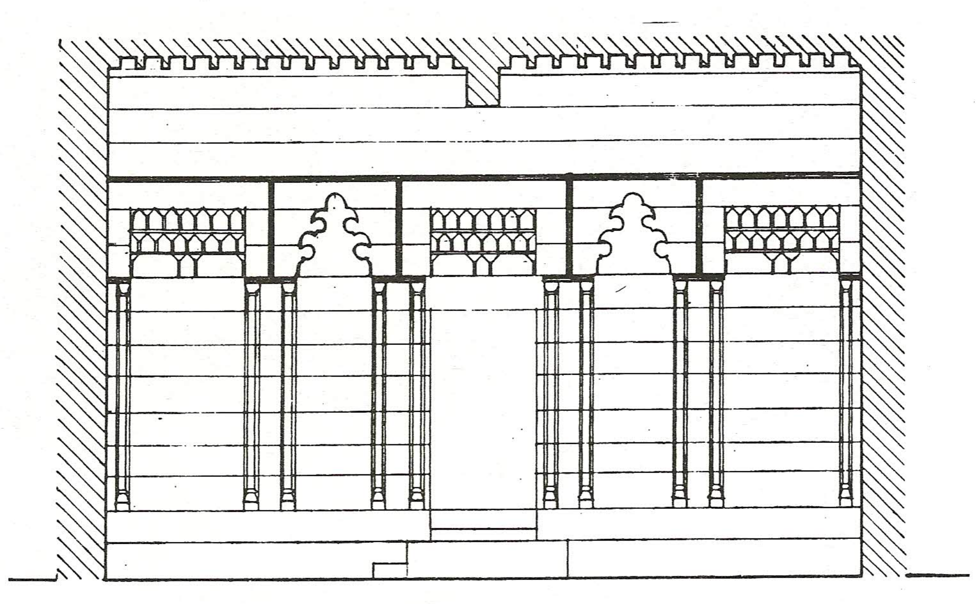


(شكل٥) قطاع رأسى لحوض قجماس الأسحاقى

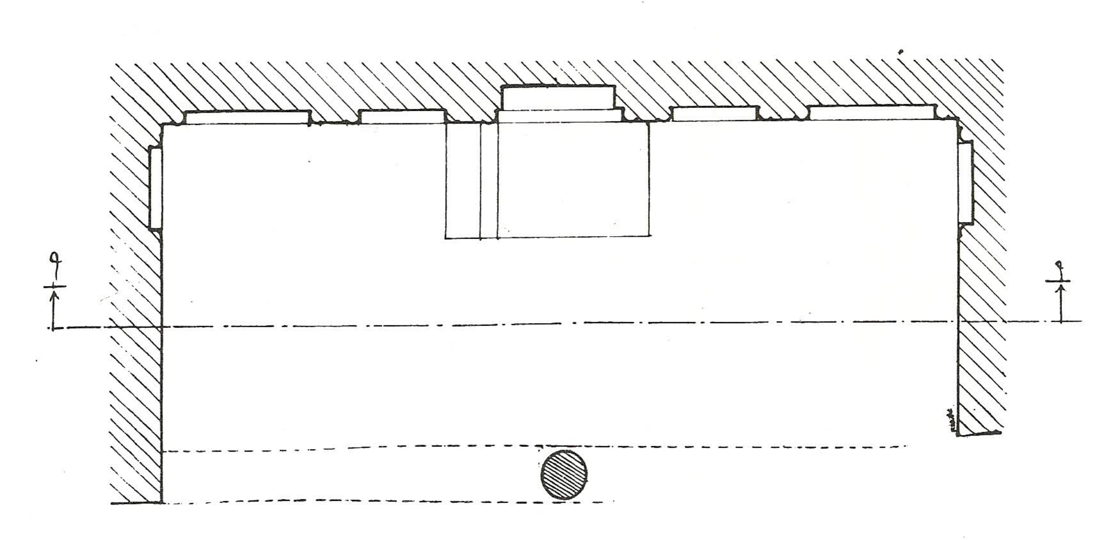
(شكل٦) مسقط أفقى لحوض إبراهيم أغا



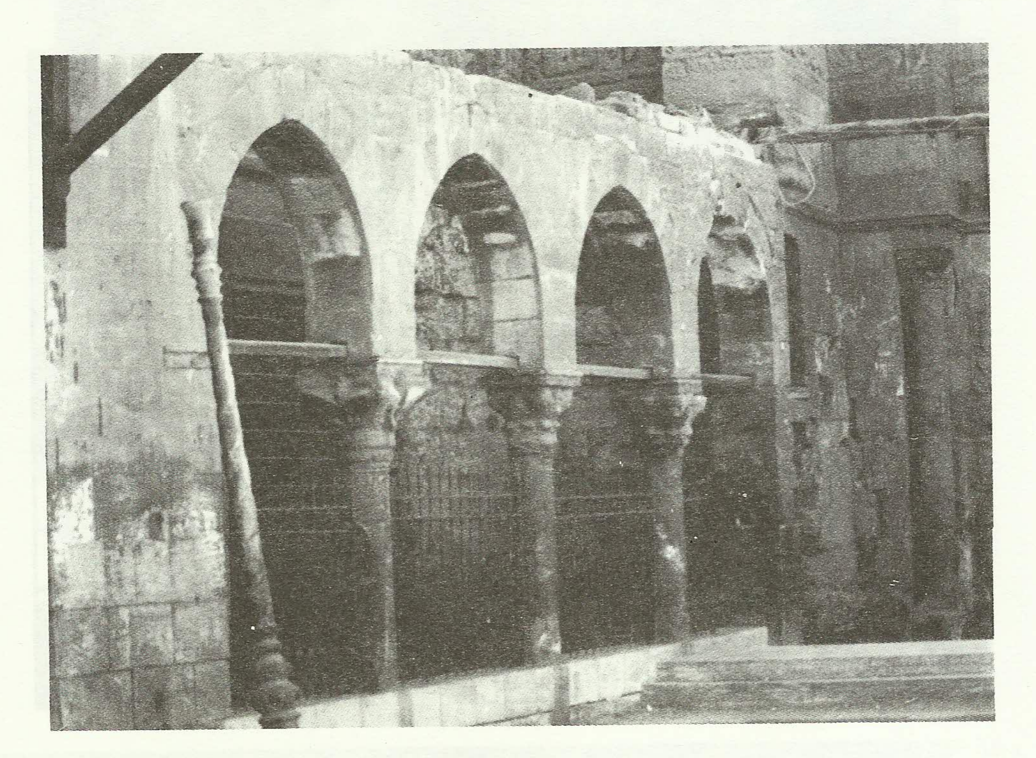
(شكل٧) واجهة حوض إبراهيم أغا



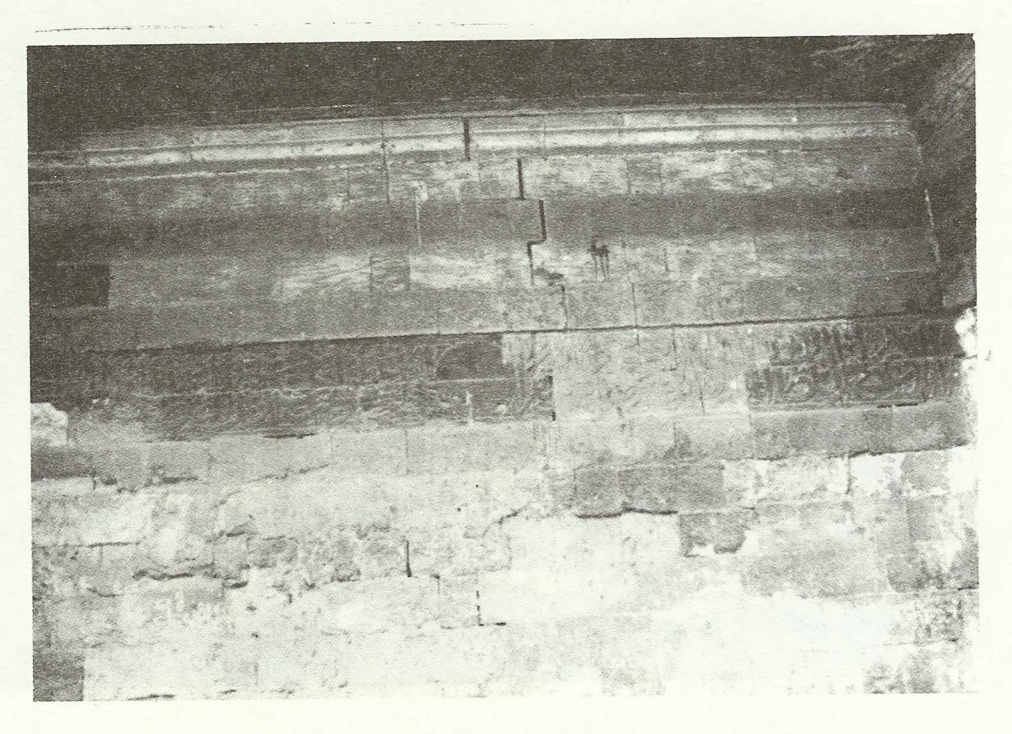
(شكل٨) قطاع رأسى لحوض محمد أبو الدهب



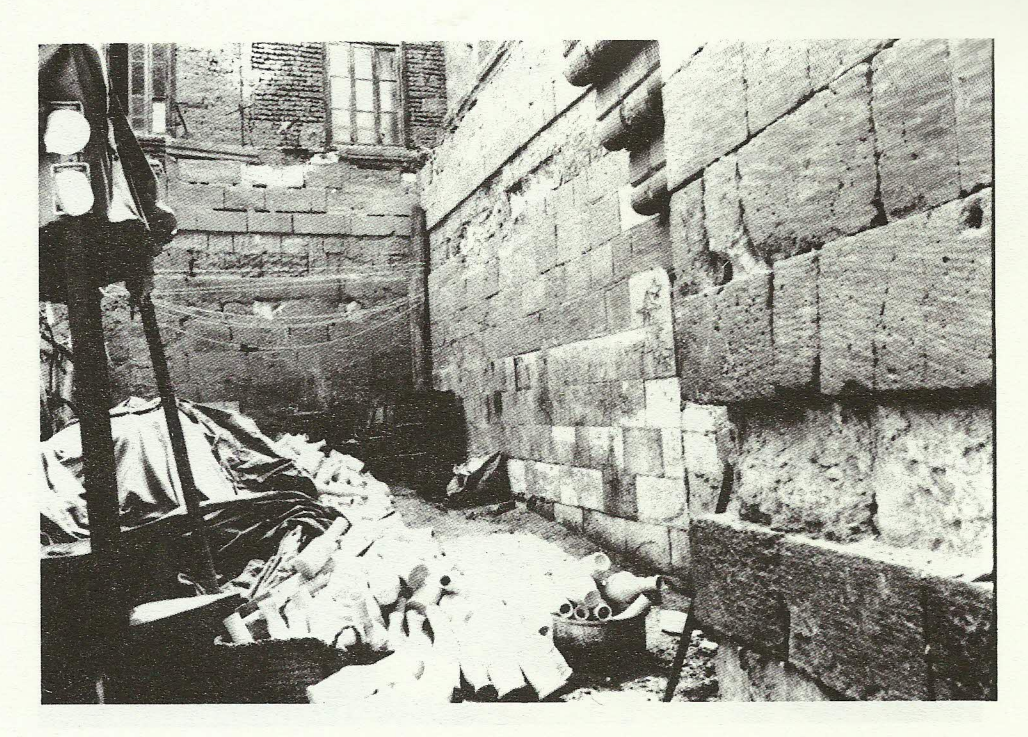
(شكل٩) مسقط أفقي لحوض محمد أبو الدهب



(لوحة ١) حوض قلاوون



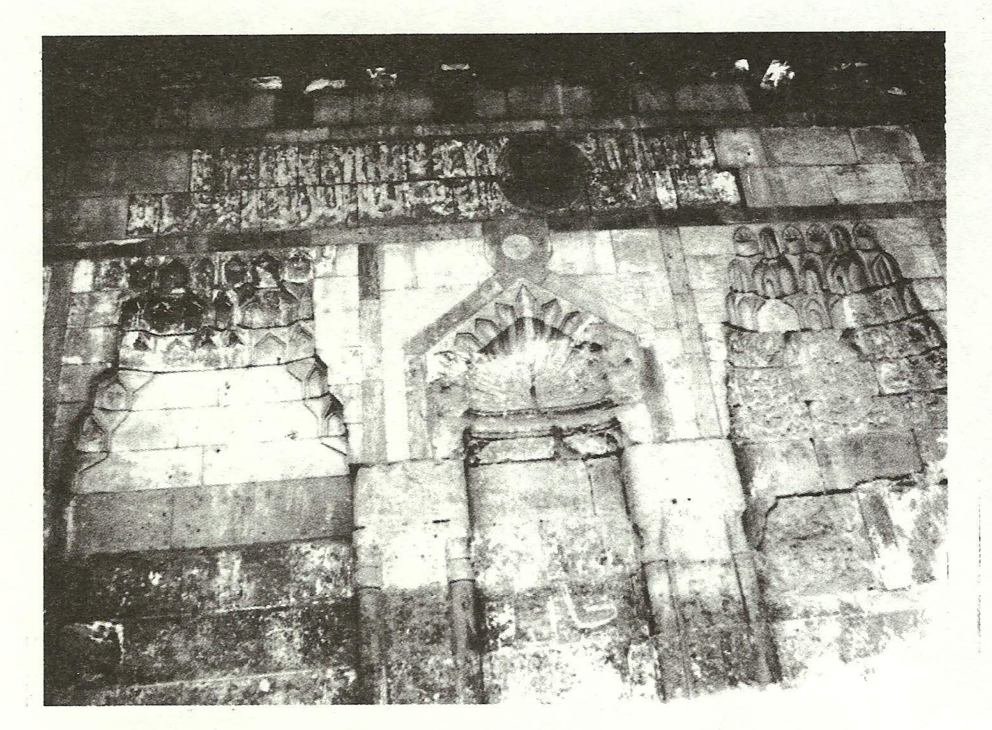
(لوحة ٢) أم السلطان شعبان



(لوحة ٣) ابيمش



(لوحة ٤) قايتباى بالصحراء



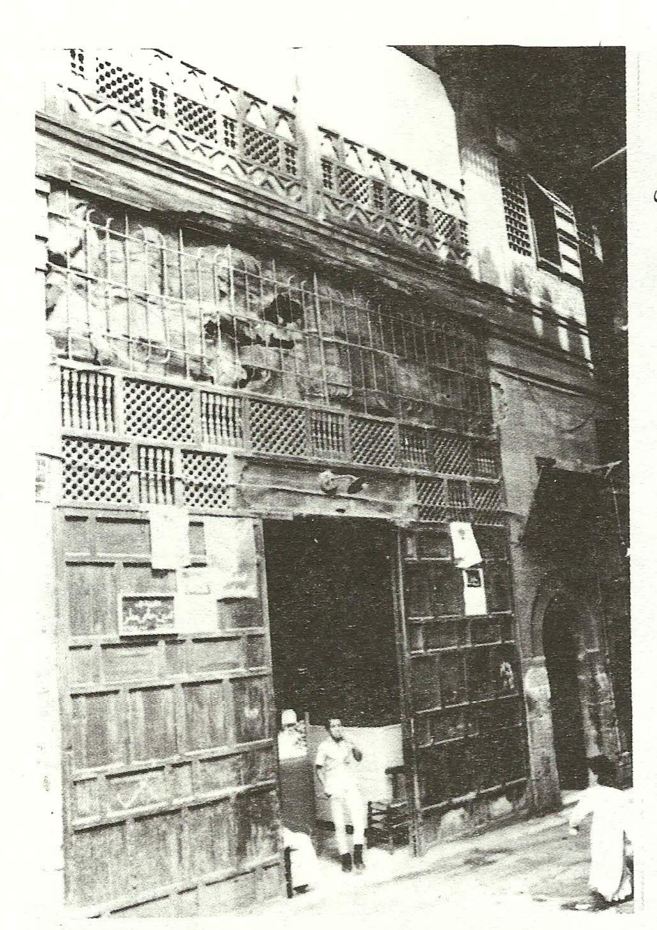
(لوحة ٤مكرر) قاينباى بالصحراء

(لوحة ٥) حوض قايتباى بالأزهر

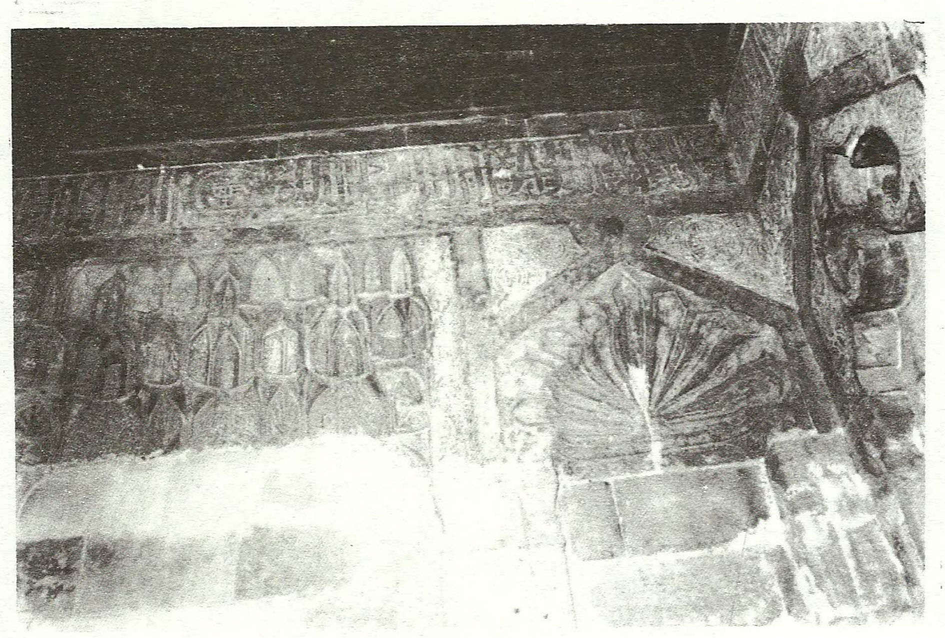
(لوحة ٦) حوض قايتباى بالأزهر



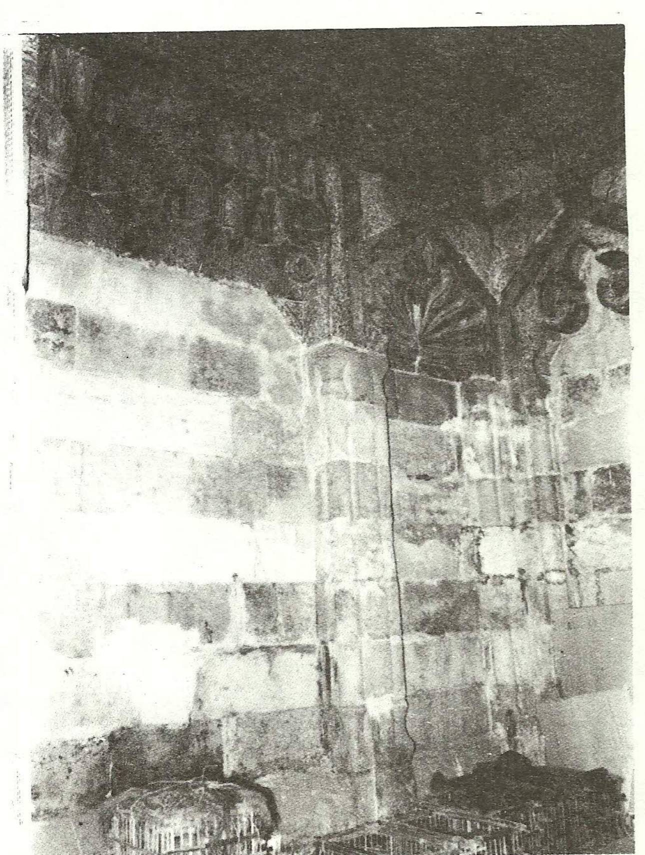
(لوحة ٧) قايتباى بالأزهر



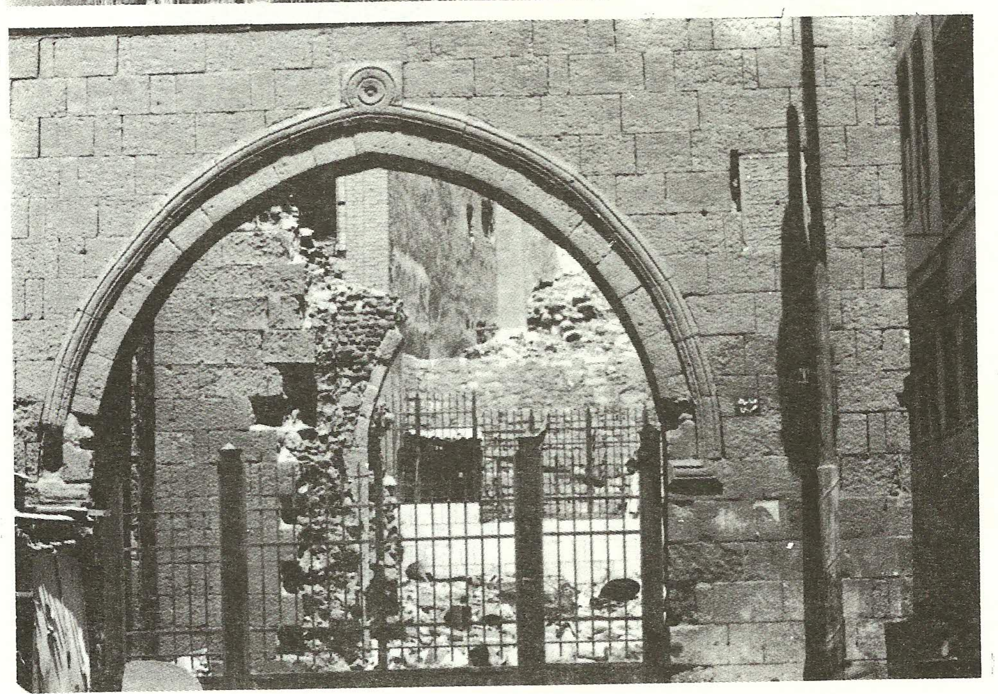
(لوحة ٨) قجماس



(لوحة ٩) قجماس



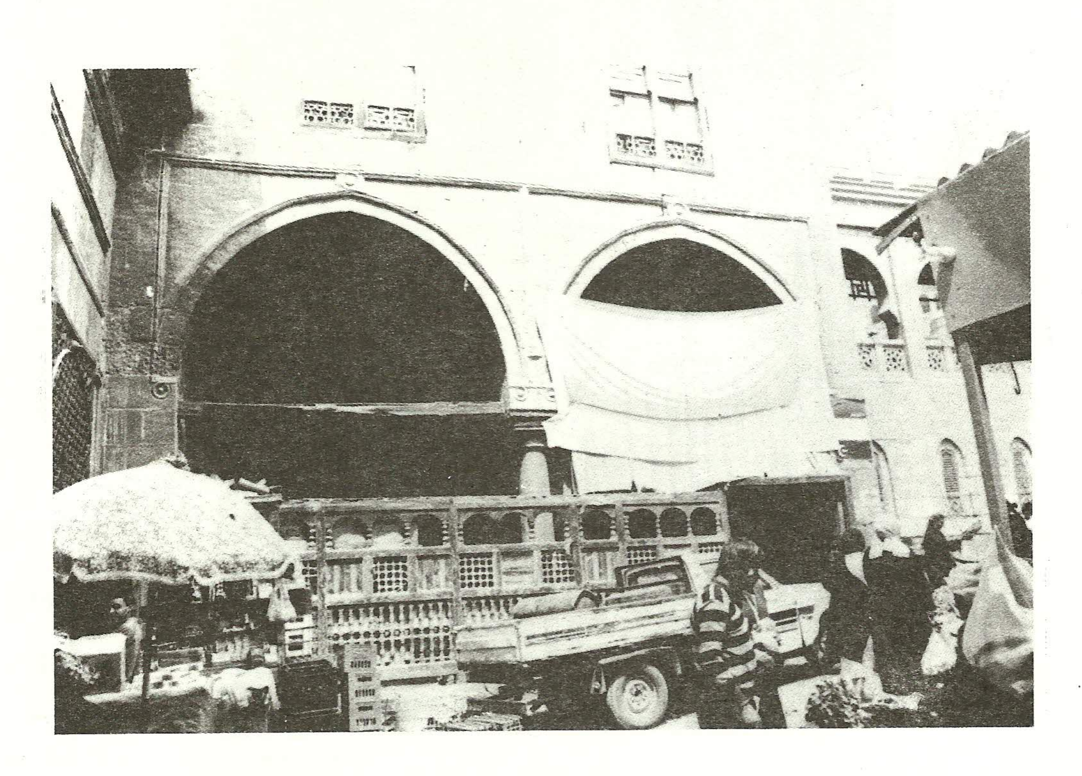
(لوحة ١٠) قجماس



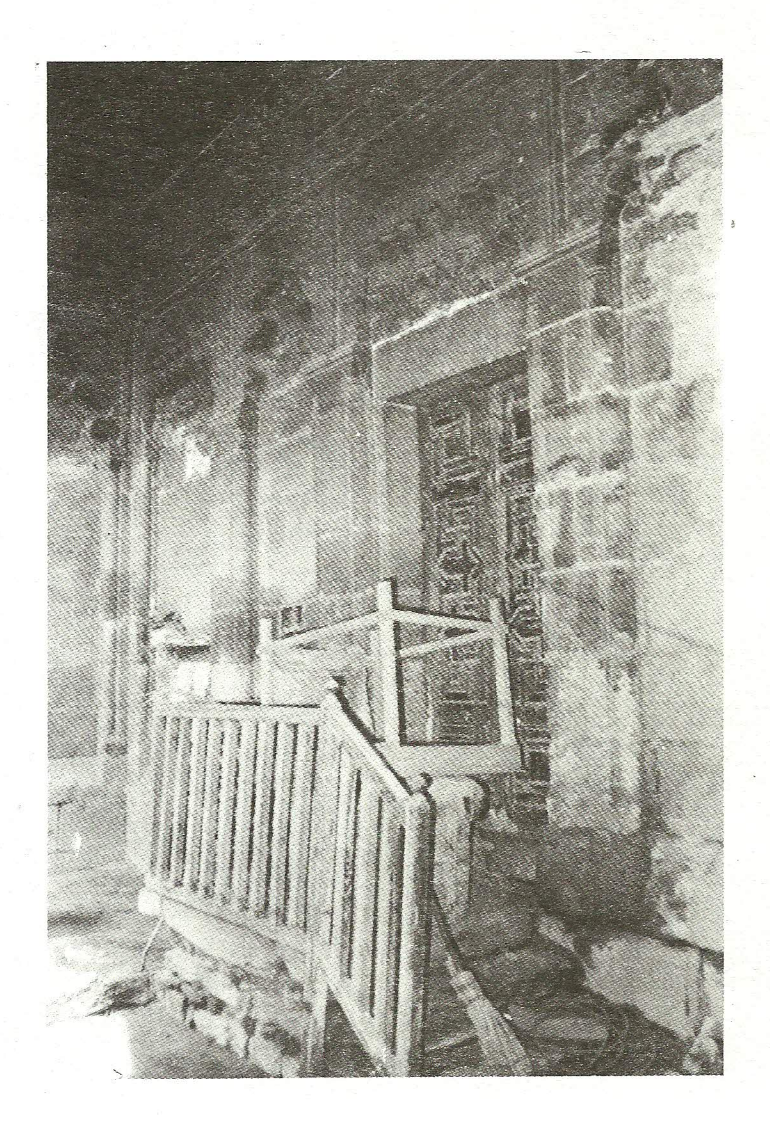
(لوحة ١١) إبراهيم أغا بباب الوزير



(لوحة ١٢) عبد الرحمن كتخدا بالحطابة



(لوحة١٣) أبو الدهب



(لوحة١٤) أبو الدهب